

المراة العاملة وتحقیق الذات فی رواية "الكوبرا تصنع العسل" للروائي أحمد زیاد محبک

Mohamad Alahmad*

الملخص

شكلت المرأة العاملة المحور الذي تدور حوله أحداث رواية "الكوبرا تصنع العسل"، وبدا هذا من خلال اهتمام الروائي أحمد زیاد محبک بالشخصيات النسوية، ولا سيما العاملات، اللواتي تفوقن في العدد على الشخصيات الذكورية في الرواية من جانب، والدور المهم الموكل إلى المرأة، وهو ما يرمي إليه عنوان الرواية من جانب آخر. المرأة في هذه الرواية لم تكن ذلك الكائن الضعيف الخاضع لسيطرة الرجال وقوانينهم، والمنقاد لعادات وتقاليد المجتمعات الشرقية، وفق النمط الذي اعتدنا أن نراها عليه في معظم أنواع الأدب العربي الشعري والنثري، بل استطاعت أن تثبت ذاتها وتنتصر لحقوقها بما امتلكته من إرادة وتصميم وقدرات علمية وعملية. يسعى هذا البحث إلى تقديم ملخص موجز عن هذه الرواية، ثم يحاول إبراز دور المرأة العاملة فيها، وذلك من خلال تتبع الشخصيات النسوية، وأساليب الكاتب في بنائها، والعلامة اللغوية لها، بالإضافة إلى الوقوف عند مشكلات المرأة العاملة، ووسائل مواجهتها لهذه المشكلات، وأثر المدير الصالح في تحسين أداؤها. كلمات مفتاحية: رواية، المرأة العاملة، الكوبرا، العسل، محبک.

ROMANCI AHMED ZİYAD MUHABBİK'İN "BAL YAPAN KOBRA" ADLI ROMANINDA ÇALIŞAN KADIN VE KENDİNİ İSPATLAMA

Öz

"Bal Yapan Kobra" romanında, çalışan kadın olayların etrafında döndüğü merkezde bulunan figürdür. Romancı Ahmed Ziyad Muhabbik kadın şahsiyetlerine, özellikle de çalışan kadınlara verdiği önem, roman boyunca gözükmektedir. Bir taraftan çalışan kadınların sayısının romanda zikredilen erkeklerden daha çok olduğu ve kadınlara verilen rolün önemli olduğu görünmekte; diğer taraftan romanın başlığı da o rolün önemini çağrıştırmaktadır.

Bu romanda kadın, erkeğin gücüne ve kanunlarına boyun eğen zayıf bir durumda olmadığı gibi, genellikle doğu Arap edebiyatında gördüğümüz şiir ve nesirdeki gibi doğu toplumlarının adetlerine de uyan şahsiyet de değildir. Aksine fiili ve ilmi gücünü güçlü bir şekilde ortaya koyan ve sahip olduğu hakları gerçekleştirmeye ve kişiliğini ispata çalışandır.

Bu çalışma, bu romanın kısa bir özetini vermektedir. Sonra da çalışan kadının rolünü ortaya koyar. Kişileri inceleme sürecinde kadının karakterini, yazarın onu oluşturma yöntemlerini ve ona ait dil özelliklerini koymaya çalışır. Ayrıca çalışan kadının sorunlarını ve bu sorunlara karşı durma yollarını ve iyi bir yöneticinin görevini yerine getirmedeki etkisi üzerinde durmaktadır.

Anahtar kelimeler: Roman, Çalışan Kadın, Kobra, Bal, Muhabbik.

WORKING WOMEN AND SELF-DEMANDING IN NOVELIST AHMED ZIYAD MUHABBIK'S NOVEL NAMED "HONEY- MAKING KOBRA"

Abstract

The working woman is the center around whom the episodes revolve in a novel of "Honey-making Kobra". The importance given by novelist Ahmed Ziyad Muhabbik to his feminine figures, especially working women, appears throughout the novel. On the one hand, it is seen that the number of working women is more than the men mentioned in the novel and the role given to women is important; the title of the novel, on the other hand, evokes the importance of that role.

In this novel, neither the woman is in a weak state that succumbs to the power and laws of the man, nor she complies with the customs of eastern societies, as we have been seen usually in poems and prose of eastern Arab literature. On the contrary, she demonstrates her actual and intellectual power in a strong manner and tries to realize her rights and to prove her personality.

This research aims to present a brief summary of this novel and demonstrates the role of working women in it through investigating feminine characters and the author's methods in its characterization and its linguistic symbol. It also demonstrates working women's obstacles, procedures to overcome them, and a good manager's role in improving their performance.

Keywords: Novel, Working Woman, Kobra, Honey, Muhabbek.

مقدمة

تعد مشاركة المرأة في ميدان العمل أمر مهم لإحداث التنمية المستدامة لأسباب نظرية وسياسية في عصرنا.¹ وكلما ازداد نشاط المرأة العاملة في عملها أدى إلى إحداث تغيير وتطور سريع في العمل والمجتمع معاً. وبسبب تقدم العمل ولا سيما العمل المرتبط بالتكنولوجيا في أيامنا تغيرت المؤهلات المطلوبة من الموظفين؛ لذلك طورت المرأة نفسها في شتى مجالات العمل لتتلاءم مع هذه الشروط، وقد حققت نجاحاً كبيراً في أداء عملها.² والمرأة العاملة لا تكتفي بتحقيق مكاسب اقتصادية لنفسها فحسب، بل أيضاً تزيد ثققتها بنفسها، وترتقي مكانتها بين أفراد أسرتها، ويزيد احترام المجتمع لها.³ وقد أتاحت التطورات الاجتماعية الحديثة في البلدان العربية للمرأة أن تلج شتى مجالات الحياة، وتزاحم الرجل في ميادين متعددة، لم تكن مألوفة في المجتمعات العربية في العصور السابقة، ولا سيما ميداني العلم والعمل، اللذين شجعاهما على الانخراط فيهما إلى جانب الرجل، واستطاعت المرأة أن تحقق نتائج إيجابية، وتتفوق في بعض الأوقات على الرجل. بيد أن ظروف العمل الجديدة فرضت على المرأة العاملة إقامة علاقات متعددة مع أصناف مختلفة من الناس، سواء الزملاء والزميلات الذين يعملون معها في المكان نفسه أو المواطنين الذين لهم تعاملات مع مكان عملها، ونتج عن هذه العلاقات ظهور صعوبات جديدة في حياتها، تستوجب من المجتمع إيجاد حلول مناسبة لها.

¹ İlyas Karabıyık, "Türkiye'de Çalışma Hayatında Kadın İstihdamı". *Marmara Üniversitesi İ.İ.B.F. Dergisi* 32/1 (Mart 2012): 233.

² Emel İslamoğlu- Sinem Yıldırım, "Yolcu Hizmetleri Memurluğu" Yapan Kadınların Çalışma Hayatında Karşılaştıkları Sorunlar". *HAK-İŞ Uluslararası Emek ve Toplum Dergisi* 3/6 (Şubat 2014): 152.

³ Müşerref Küçük, "Çalışma Hayatında Kadınlar ve Karşılaştıkları Sorunlar: Bir İşverene Bağlı Olarak Çalışan Emekçi Kadınlara İlişkin Bir Araştırma". *Ekonomi Bilimleri Dergisi* 7/1 (2015): 5.

وقد شغلت قضية المرأة أعلام الأدباء العرب، وعالجوا قضاياها في شتى أنواع الأدب العربي، ولا سيما في الرواية بوصفها فناً أدبيًا يحمل بين جنباته طاقات تحاورية، يستطيع الأدباء استثمارها للتواصل مع المجتمع، وطرح أفكار خاصة بهم، وعكسها من خلال عناصر السرد الروائي. وقد عرض الأدباء من خلال استثمار فن الرواية أوضاع المرأة في المجتمع العربي الحديث، وقدموا آراء مختلفة، ووجهات نظر متعددة تجاه قضاياها، تليق أذواقهم الفنية، وتعبر عن تصوراتهم لمجتمعهم بما ينسجم مع أمنياتهم.

يبدو الروائي أحمد زياد محبك⁴ أحد الأدباء العرب الذين فطنوا إلى الحال الجديدة للمرأة في المجتمع العربي المعاصر، وأولوا قضاياها اهتمامًا خاصًا، وسعوا إلى حلّ مشكلاتها. فقد اتكأ الروائي محبك على فن الرواية في تصوير مجتمع روائي يلامس واقع المرأة، ووظف شخصيات نسوية قادرة على إبراز همومها ومشكلاتها، ووضع قارئه أمام أبرز مسبباتها، وقدم رؤية خاصة عن حلول تستطيع المرأة الاستفادة منها في تجاوز بعض المشكلات.

ورواية "الكوبرا تصنع العسل"⁵ إحدى روايات الكاتب التي سلّطت الضوء على إحدى أهم قضايا المرأة في حياتنا المعاصرة، وهي قضية المرأة العاملة، وأبرزت الصعوبات التي تعترضها خلال عملها، وبيّنت أساليبها في مواجهة هذه الصعوبات، أبرزت قدراتها ومواهبها في ميدان العمل، وأثرها الإيجابي في تغيير وجهة نظر المجتمع الذي تعيش فيه تجاهها. يأتي اختيار هذا البحث للوقوف على قضية المرأة العاملة في الرواية العربية التي ما تزال بحاجة إلى إضاءات بحثية، فنمّة أبحاث محدودة تناولت هذه القضية رغم أهميتها. ويأتي اختيار هذه الرواية من كونها تلامس واقع المرأة العربية العاملة، وتغوص في بنية المجتمع وعاداته، وتتضمن انتقادات للسلوكيات والنماذج الإنسانية، وتقدم وعي كاتبها الاجتماعي ورؤيته الناقد للمجتمع.

واتكأ البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه أكثر ملاءمة وانسجامًا مع أهداف هذا البحث، فهو منهج يتجاوز دراسة النص الداخلية والتعرّف على دلالاته إلى البحث في المضمّن داخل النسق الثقافي الذي يدعو المتلقي للتفكير، وهو يهتم بالبحث عن الأثر الذي يتركه النص الأدبي في ذهن القارئ.

ويسعى البحث من خلال تتبع الشخصيات النسوية إلى التعمق في بنية الشخصيات واستخراج أبعادها ومرجعياتها ودلالاتها، ويُعنى أيضًا بتحليل المضمون للكشف عن قضايا مضامين محتوى الرواية.

1. ملخص الرواية

"الكوبرا تصنع العسل" رواية قصيرة نسبيًا، تقع في مئة وثلاث وأربعين صفحة من القطع الكبير، وتتناول حياة مجموعة من الموظفين والموظفات، يعملون في إحدى الدوائر الحكومية في مدينة حلب في سوريا، وتصور معاناتهم نتيجة الضائقة الاقتصادية التي يعيشونها، فالمرتبات قليلة لا تفي بمتطلبات الحياة، فيضطرون إلى العمل الخاص بعد انتهاء ساعات عملهم الوظيفي، لكن من دون جدوى، فلا بدّ من الاستدانة رغم كل ما يقومون به من أعمال، وما يحاولونه من تدابير. إن هذه الضائقة الاقتصادية ترغم بعض هؤلاء الموظفين على اتباع أساليب ملتوية تسيء إلى مبادئهم وأخلاقهم بغية الحصول على المال، وتدفع آخرين إلى السفر خارج الوطن، حيث يمكن لهم جمع بعض المال، وتحقيق حياة أفضل.

⁴ قاص وروائي وناقد سوري وأستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة حلب، صدرت له أربع روايات وعشر مجموعات قصصية وعشرة كتب في النقد.

⁵ أحمد زياد محبك، الكوبرا تصنع العسل (حلب: منشورات دار القلم العربي، 1996).

تشغل المرأة العاملة جزءاً واسعاً من مساحة السرد في الرواية، وترصد أحداثها عمل مجموعة من الموظفين في إحدى المديرية الحكومية، وتصور الأعمال التي يقمن بها، وطريقة أدائهن هذه الأعمال. كما تصور شبكة العلاقات الاجتماعية بين الموظفين والموظفين من جهة، وفيما بين الموظفين أنفسهم من جهة أخرى.

ويتركز السرد في الرواية على موظفة شابة تلفت نظر مديرها المباشر، فيطمع في النيل منها، لكنها تأبى أن تنصاع لنزواته، وتنتقل إلى مديرية أخرى هرباً من مضايقاته، بيد أنها تجد نفسها في مواجهة صعوبات جديدة، ويتضح من سرد الأحداث أن ثمة صلة بين مديرها القديم والمدير الجديد، وأنهما اتفقا على مضايقتها وتشويه صورتها الأخلاقية والمهنية في المديرية الجديدة.

تتقدم أحداث الرواية شيئاً فشيئاً، وتتشابك العلاقات بين شخصياتها، وتفصح مجريات الأحداث عن مزايا كثيرة في الموظفة الشابة، وقدرة كبيرة على مواجهة الصعوبات، يعينها في ذلك موظف عجوز، يقف إلى جانبها وينصفها.

1. الشخصيات النسوية في الرواية

تمثل الشخصية الروائية مكوناً مركزياً في السرد الروائي، وتأتي أهميتها من كونها العنصر الرئيس في فن الرواية؛ فالشخصية هي مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار والآراء في الرواية.⁶ والشخصية في الرواية هي المحرك الرئيس الذي يطور الأحداث داخل الرواية، وهي "المحور العام الرئيسي الذي يتكفل بإبراز الحدث، وعليها يكون العبء الأول في الإقناع بمدى أهمية القضية المثارة في القصة وقيمتها".⁷

إن الروائي يسعى من خلال شخصياته الروائية إلى طرح علمه الخاص، ويعرض من خلال هذه الشخصيات أفكاره بترتيب معين. ولكي ينقل هذه الأفكار وذلك العالم إلى المتلقي يكلف نماذج مناسبة وفق رؤيته تحقق له هذه الغاية. وقد تكون هذه النماذج شبيهة بالنماذج الواقعية في البيئة الاجتماعية التي يعيش الروائي فيها، وقد يحتاج إلى توظيف نماذج بعيدة عن الواقع، نماذج خيالية أو أسطورية أو خرافية يبي لها عالماً متخيلاً لا نعثر عليها ولا على عالمها إلا في الحكايات والأفلام. إن هدف الروائي هو الذي يدفعه إلى توظيف هذا النموذج أو ذاك في روايته.

والدارس للشخصيات النسوية في رواية "الكوبرا تصنع العسل" يجد أن نماذجها لم تخرج عن الإطار الاجتماعي الواقعي، وتمثلت بنموذج المرأة العاملة الذي شكّل معظم هذه الشخصيات، كما وظّف الروائي نموذج طالبة الجامعة، والمدرسة، وربة المنزل في روايته. وهذه النماذج كلّها شبيهة بما نعايشه في حياتنا.

استأثرت شخصية "وداد" بالمساحة الأكبر من حركة السرد بوصفها شخصية رئيسية في الرواية "تتحرك من بداية الأحداث لتحقيق هدف معين"⁸، وهي موظفة تعمل على الآلة الكاتبة في إحدى المديرية الحكومية، وتمتلك قدرات كبيرة في هذا العمل تجعلها تتفوق على غيرها من الزملاء والزميلات. كما تمتلك صفات الشباب والجمال والثقة بالنفس وحب الحياة، بالإضافة إلى أسلوب حياتي مميز، وطريقة ناجحة في تعاملها مع الآخرين.⁹

إن هذه الصفات جعلت وداد محط أنظار زملائها وزميلاتها في المديرية التي كانت تعمل فيها، وعرضتها لعدد من الصعوبات والمشكلات.¹⁰ بيد أنها استطاعت بما حازته من إمكانيات أن تتغلب عليها وتجتازها.

⁶ محمد الأحمد، مكونات السرد وتقنياته في روايات خيرى الذهبي (رسالة لماجستير، جامعة حلب، 2009)، 12.

⁷ نادر عبد الخالق، الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب كيلاني، ط1 (القاهرة: دار العلم والإيمان، 2009)، 40.

⁸ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ط1 (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990)، 215.

⁹ محبك، الكوبرا تصنع العسل، 23-25.

¹⁰ محبك، الكوبرا تصنع العسل، 71.

وثمة زميلات لوداد يعملن على الآلات الكاتبة في المكتب الذي تعمل فيه، وكلهن ينتمين إلى ما يُصطلح عليه في علم السرد بالشخصيات الثانوية، وهي ما تكتفي بوظيفة مرحلية في السرد الروائي،¹¹ وهنّ: "منى"، وهي شابة مخطوبة منذ سنتين إلى قريب لها، وموعد زفافها مؤجل بسبب الضائقة المادية. و"هيام"، التي مضى على زواجها خمس سنوات، وهي في خصام دائم مع زوجها بسبب إتلافه النقود التي يحصل عليها كلاهما من راتبهما الشهري. و"سناء"، وهي شابة عكفت عن الزواج، وقررت أن تنذر حياتها لتربية أختها بعد وفاة والدها. و"دلّال"، وهي الأكبر سنّاً بين العاملات، والأكثر همّاً وغمّاً، أم لأربعة أولاد، وجهها متجههم دائماً.¹² وبسبب الصعوبات التي تواجهها هؤلاء العاملات "لا يعرفن سوى التذمر من العمل والشكوى، أو طلب إجازات ساعية".¹³ ومن العلامات أيضاً "سكرتيرة المدير"، وتبدو موظفة لطيفة رقيقة في تعاملها مع الآخرين، تحب الخير لزملائها في المديرية، فقد هنأت وداد حين عينها المدير ضاربة على الآلة الكاتبة قائلة لها: "في النهاية لا يصح إلا الصحيح، منذ البدء كان يجب مباشرتك العمل في مكتب الأستاذ رياض".¹⁴

وثمة نموذج طالبة الجامعة، الذي تمثل في وداد أيضاً، فهي طالبة في كلية الحقوق في السنة الرابعة بالإضافة إلى كونها موظفة، وزميلتها في الكلية نفسها "رجاء" و"سميرة"،¹⁵ و"هدى" طالبة في كلية الطب.¹⁶ ونموذج المدرسة الذي تمثّل في شخصية "عهد"، بالإضافة إلى نموذج ربة المنزل الذي جسّدته "أم صالح"، وابنتها المطلقة، و"زوجة رياض"، و"زوجة إسماعيل"، و"أم وداد". وهذه الشخصيات كلّها، ما عدا وداد، تنتمي إلى ما يُصطلح عليه بالشخصيات الهامشية، التي تكون ذات دور صغير جداً تقتضيه طبيعة الأحداث في الرواية.¹⁷

وعلى الرغم من تشابه هذه النماذج بغيرها في روايات أخرى لهذا الروائي أو ذاك فإن محبك حاول أن يصنع لها عالماً خاصاً مستقلاً تمتاز به عن غيرها من نماذج مشاهمة، كسعي كثير من الروائيين حين يبدعون الشخصيات في رواياتهم،¹⁸ وقد اتضح عالم هذه الشخصيات من خلال علاقة وداد بهم، وهي علاقة قوامها تأثيرها فيهن جميعاً وبعثها روح الثقة والأمل والتفاؤل في حياتهن.

2. أساليب بناء شخصية المرأة

ثمة طريقتان لبناء الشخصيات في الرواية؛ الطريقة المباشرة التي يقدّم فيها الروائي شخصياته بشكل مباشر بإخباره عن صفاتها، أو يكلف إحدى شخصيات الرواية بالقيام بهذه المهمة، وقد يكلف الشخصية نفسها بتقديم ذاتها عن طريق الوصف الذاتي، والطريقة غير المباشرة، وفيها يفسح الروائي المجال للقارئ ليستخلص صفات الشخصية من خلال ما تقوم به من أفعال أو ما يصدر عنها من أقوال.¹⁹ أي أن تحديد هوية الشخصية يتكئ على "مصادر إخبارية ثلاثة: ما يخبر به الراوي، وما تخبر به الشخصيات ذاتها، وما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات".²⁰

11 حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي، 215.

12 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 38.

13 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 38.

14 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 21.

15 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 100.

16 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 100.

17 يوسف حطيني، مكوّنات السرد في الرواية الفلسطينية (دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 1999)، 46.

18 يوسف حطيني، مكوّنات السرد في الرواية الفلسطينية، 25.

19 حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي، 223-224.

20 حميد لحداني، بنية النصّ السردّي من منظور النقد الأدبي، ط1 (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991)، 51.

استثمر الروائي في هذه الرواية طرق البناء التي ذكرناها آنفاً في بناء شخصية المرأة، واهتمّ برسم صفاتها الجسدية والنفسية، مبتعداً عمّا يلجأ إليه بعض الروائيين في تقديم شخصياتهم "بفقرة تصف بالتفصيل المظهر الجسدي، وبفقرة أخرى الطبيعة الخلقية والنفسية"،²¹ ليداخل بين هذه الصفات في معظم فقرات بنائها في روايته.

ركّز الروائي فيما يخص الصفات الجسدية على تلك الصفات التي تبرز أنوثة المرأة، بقصد لفت نظر القارئ وجذبه إليها من جهة، ودفعه إلى التعاطف معها من جهة ثانية؛ فذكر أنّ وداد ذات قوام رشيق، وهي ناعمة صغيرة مثل قرنفل مّرة، ومثل زنبقة بحريّة بيضاء مّرة ثانية، ومثل بنفسجة مّرة أخرى، ووجهها مشرق، وعيناها تمنحان السعادة والحياة للرائي، ورموشها هدايا، وعطرها لا يفارقها أبداً. يصفها "رياض"، وهو الشخصية الرئيسية الأخرى إلى جانب وداد، والذي اعتمده الروائي راوياً لأحداث الرواية، يقول: "فمها مندفع إلى أمام مثل قرنفل، أنفها الدقيق في أرنبته تثمّ إلى الأعلى، والشعر مرفوع عن الجبين الوضّاء".²² ويقول أيضاً: "تحفّ رموشها الهدايا، وتبتسم، كالزنبق البحري الأبيض، يتفتح مشعباً بالندى".²³

كما أظهرت الرواية مدى اهتمام وداد في انتقاء ألبستها بحسب المكان والزمان والمناسبة، فقد جعلت قانونها في الحياة: لكلّ مقام لباس؛ فللشغل لباسه، ولمناسبات الحزن والفرح والسهر والبيت ألبسة خاصّة تحرص وداد على انتقائها، وتُخضع ذاتها لهذا القانون على نحو صارم لا يقبل التغيير؛ لهذا أصرت أن تبديل ملابسها لتكون مناسبة للسهرة مع رياض على الرغم من أناقة الثوب الذي كانت ترتديه ولياقته بحجة أنّه مخصّص لخارج المنزل.²⁴

ولتقديم هذه الصفات المادية استعان الروائي بالرؤية البصرية، من خلال قدرة الواسف المتمثل في رياض على مشاهدة شخصية وداد في لقاءاته معها في الشركة والمطعم والبيت والشارع وغيرها من أماكن لقائه بها في الرواية.

إن طريقة الوصف المنجّم المستخدم في الرواية يتفق مع الاتجاه الحديث في بناء الشخصيات الذي يقف "ضد تقديم الكشف في قطعة طويلة مسترسلة بعد التقديم الأولي للشخصية الرئيسية أو بعد المشهد الأول. ويفضل الكتاب المحدثون، بدلاً من ذلك، مداخلة الكشف بالخط الرئيسي للأحداث في شكل ومضات متعاقبة أو في مزيج من المومضات الرجعية والاستقبالية".²⁵ وهو ما استثمره الروائي في روايته، حيث جاءت هذه الصفات منجّمة بين ثنايا الرواية من البداية إلى النهاية، الأمر الذي يشوّق القارئ إلى متابعة قراءة الرواية ليعرف المزيد عن هذه الشخصية.

ولم يأت الروائي بكل الصفات الجسدية لهذه المرأة، بل ترك الكثير منها للقارئ يشارك في وصفها، كالطول والعرض ولون العينين وشكل الأنف، وما إلى ذلك من صفات مادية. وفي هذا المجال نستطيع القول: ليس المهم في الرواية غزارة المعلومات عن الشخصية، أو الطريقة التي تُقدّم بها، بل المهم كفايتها لتلبية حاجة الشخصية إلى إبراز تجربتها.²⁶

واهتمّ الروائي فيما يخص الصفات النفسية بالصفات التي تبرز تحرّر المرأة ووعيها وجرأتها وثقتها بنفسها وقوة شخصيتها وعلاقتها بالرجل وموقفها منه، بالإضافة إلى معاناتها في الحياة. ووداد في الرواية امرأة مثقفة متحرّرة، امتلكت وعياً وجرأة ساعداها على أن تتصرّف بلا قيد من أب أو زوج أو أخ، أو غيرهم، فهي تلبس ما تحبّ، وتذهب إلى المكان الذي تريد في الزمن الذي تريد، وتفعل ما تقتنع به فحسب. وربما كان لدراساتها الحقوق أثر في تكوين شخصيتها ومنحها تلك الصفات. وتمتلك وداد مهارة في إتقان عملها (الضرب على الآلة الكاتبة)، فتضرب على الآلة الكاتبة بأناملها العشرة

²¹ رينيه ويليك- أوستين وارين، نظريّة الأدب، ترجم. محي الدين صبحي، ط1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981)، 229.

²² محبك، الكوبرا تصنع العسل، 14.

²³ محبك، الكوبرا تصنع العسل، 18.

²⁴ محبك، الكوبرا تصنع العسل، 79.

²⁵ أ. مندلاو، الزمن والرواية، ترجم. بكر عباس، ط1 (بيروت: دار صادر، 1997)، 124.

²⁶ سمر روجي الفيصل، بناء الرواية السورية (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1995)، 98.

برشاقة، كأنها تعزف على آلة موسيقية، ولا تستعمل المصحح لتصحيح الأخطاء كغيرها من الموظفين، ولا تعيد النظر فيها، فلا داعي لهذا لأن الصفحة التي تطبعها تكون خالية من الأخطاء. ويضاف إلى ذلك كله أنّها مرحلة تحبّ الحياة بعيداً عن التعقيد والتكلف.²⁷

إنّ وداد امرأة ليست عادية، بل امرأة جميلة بكل شيء؛ فبالإضافة إلى امتلاكها الجمال المادي الجسدي، والجمال المعنوي، ثمة جمال في إتقان العمل، وهو صفة مهمّة في الرواية، ركّز الروائي عليها ليحثّ المتلقي على التعاطف معها ضد الظلم الذي تعرّضت له نتيجة علاقتها بالرجل، أو نتيجة عدم خضوعها له. إن عدم خضوعها هذا جعلها عرضة للتقوّل والتزيّد اللذين لا صلة لهما بالحقيقة؛ لهذا وُصفت بعدم قدرتها على تأدية عملها من قبل بعض المتقولين عليها، لكن قارئ الرواية يستطيع أن يكتشف كذب ادّعائهم بعد قراءتها. إن وداد بارعة في أداء عملها، لكنّ الذي دفع هؤلاء المتقولين إلى إلصاق هذه التهمة الباطلة بها عدم انصياعها لهم ورفضها الانسياق وراء نزواتهم.

ويلحظ القارئ أن الروائي أبرز، بالإضافة إلى صفات الجمال لدى وداد، صفة القوّة، وهذا ما تجلّى من خلال وضعها سوار الكوبرا في معصمها، واستخدامها عطر الكوبرا. إن الروائي يريد من وداد في الرواية أن تكون نحلة في قوّة كوبرا؛ فهي نحلة تصنع العسل المتمثل في الجمال الذي تضيفه على أي مكان تحلّ فيه، سواء أكان بشكلها الجميل أم بعطرها الفوّاح أو باهتمامها بأصص الزهور التي تحرص على إحضارها إلى المكان الذي تعمل فيه. وهي قوّة لأنّ الرجل لا يستطيع أن ينال منها، فهي ليست امرأة بكّاءة ضعيفة، بل قوّة بما يكفي لتقف أمام كل من يريد أن يسيء إليها أو ينال من سمعتها: "تمسّس:

– أعدك، الكوبرا، دائماً.

لا بأس، فلتكن كوبرا، ولكنّها جناح نحلة، وتصنع العسل".²⁸

ولكي يبرز الروائي صفاتها النفسية غالباً ما لجأ إلى الحوار الذي يعد أحد "العناصر المهمة في الطريقة الدرامية، وربما كان من أوضح الوسائل لإحداث وهم الفورية والحضور لدى القارئ".²⁹

والحوار نوعان: الحوار الخارجي الذي تتبادل شخصيات الرواية من خلاله الكلام فيما بينها، وهو الأقدم والأكثر شيوعاً في الرواية العربية، وتمثّل وظيفته في الكشف عن الملامح الفكرية للشخصيات، وتحديد مواقفها من أحداث الرواية، ومن القضايا التي تطرحها أحداث الرواية، لذا يجب أن يكون الحوار معبراً عن المستوى الفكري، والموقع الاجتماعي للشخصيات المتحاور. والحوار الداخلي الذي يجري داخل الشخصية، حيث يُستخدم للكشف عن جوهر الشخصية وحقيقتها، وما يعتلج في داخلها من أفكار ومشاعر.³⁰ فهو يسمح للقارئ بالدخول إلى باطن الشخصية دون تدخل الروائي. ويؤدّد هذا الحوار إلى مرحلة متأخرة من علم النفس، واستفادتها من مكتشفات التحليل النفسي للإنسان الذي ظهر من جديد في القرن العشرين، وتأثر الأدباء بمفاهيمه العامة على نحو واسع.³¹ وينضوي تحت هذا النوع أشكال متعددة من الحوارات كالحوار الداخلي المباشر، والحوار الداخلي غير المباشر، والوصف عن طريق المعلومات المستفيضة، ومناجاة النفس.³²

²⁷ محبّك، الكوبرا تصنع العسل، 31.

²⁸ محبّك، الكوبرا تصنع العسل، 121.

²⁹ أ. مندلاو، الزمن والرواية، 132.

³⁰ فاتح عبد السلام، الحوار القصصي، ط1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999)، 109.

³¹ روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجم. محمود الربيعي، ط2 (القاهرة: دار المعارف، 1975)، 26.

³² روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، 42.

اعتمد الروائي محبك بشكل كبير على الحوار بأنواعه، لكنه آثر استثمار الحوارين الخارجي والداخلي على نحو أوسع في رسم الصفات النفسية لشخصيات روايته. ومن الحوار الخارجي الذي استخدمه الروائي في الكشف عن بعض صفات شخصية وداد النفسية في الرواية:

"- ويدخل العم محمود، وهو يحمل دورقاً، يهم بصبّ الماء على أصص الزهر، فتناديه:
- لا يا عمّ محمود، أرجوك.

وتسرع إليه، تأخذ منه الدورق، وتمضي إلى الأصص، تغمس أناملها في التراب، تقلّبه، ثم تصب الماء على أناملها، ترشُّ به التراب رثاً. تلاحظ اندهاشي، فتعلق:

- هذه النباتات تحتاج إلى عطفنا، ونحن نحتاج إلى لمس التراب، كي نذكر أصلنا ومصيرنا".³³

تبدو وداد من خلال هذا الحوار محبة للنباتات، عطوفة حنونة نحوها، تملك إحساساً مرهفاً. كما تبدو على ثقافة خاصة عن خلق الإنسان ومآله بعد الموت.

ومن الحوار الداخلي المستخدم في رسم صفاتها النفسية أيضاً حديث رياض مع نفسه، يقول: "في حركتها وانسيابها والتفاتتها ولدونة الثوب الناعم وقعودها على الأرض ملتصقة بها، أُحسُّ الكوبرا. في شمم أنفها ووضاعة جبينها وسمو روحها المرحة وذوقها المترف الرفيع، أُحسُّ كليوباترة. ومحمد عبد الوهاب يشدو لها...".³⁴

يرى رياض في هذا الحوار الداخلي وداد أنثى ذات صفات نادرة، إنها ناعمة قوية مثل كوبرا، وذات ذوق رفيع مثل الملكة كليوباترة.

وبالنظر إلى تصنيف الشخصيات حسب التحديدات الدقيقة المرتبطة بكيفية بنائها ووظيفتها داخل السرد تُقسم الشخصيات إلى "سكونية، وهي التي تظل ثابتة طوال السرد، ودينامية تمتاز بالتحويلات المفاجئة التي تطرأ عليها داخل البنية الحكائية الواحدة".³⁵ وبناء على هذا التصنيف يمكن القول: إن شخصية وداد في الرواية شخصية نامية متطورة، فقد استطاعت أن تغير نظرة الموظفين والموظفات إليها، كما استطاعت أن تغير نظرة المدير إليها أيضاً، وأثبتت نجاحها في عملها، كما أثبتت نقاءها وطهرها، وقبيل نهاية الرواية أقلعت كلياً عن التدخين، وهي التي كانت مدمنة عليه.

ومن صفات الشخصية النامية أيضاً أن القارئ لا يتعرف إليها دفعة واحدة، بل يتعرف إليها شيئاً فشيئاً خلال قراءته الرواية، ويكتشف صفات جديدة لها كلما تقدم السرد، وهذا ما تحقق في بناء شخصية وداد. ودليل ذلك أنها لا تبوح بسر طلاقها من زوجها إلا قبيل نهاية الرواية، حين تعترف لرياض أنها أحبت موظفاً فقيراً في المؤسسة السابقة التي كانت تعمل فيها، وتزوجته على الرغم من عدم رضا أهلها، ولكن هذا الزوج أراد أن يقدمها لقمة سائغة إلى مديره، فرفضت، وحصل الطلاق، حتى إن أهلها أنفسهم لا يعرفون هذا السر، حفاظاً منها على كرامتها.³⁶

3. العلامة اللغوية للشخصيات

يستند التحليل البنوي في دراسته للشخصية الروائية إلى أنها دليل له وجهان أحدهما دال والآخر مدلول، "وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث إنها تتخذ عدة أسماء أو أوصاف تلخص هويتها. أما الشخصية كمدلول، فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص، أو بواسطة تصريحاتها، وأقوالها، وسلوكها".³⁷ ويصنّف المحللون البنويون للخطاب

³³ محبك، الكوبرا تصنع العسل، 58.

³⁴ محبك، الكوبرا تصنع العسل، 80.

³⁵ حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي، 215.

³⁶ محبك، الكوبرا تصنع العسل، 98-99.

³⁷ حميد لحداني، بنية النصّ السرديّ من منظور النقد الأدبي، 51.

الروائي "على أهمية إرفاق الشخصية باسم يميزها ويعطىها بعدها الدلالي الخاص. وتعليل ذلك عندهم أن الشخصيات لا بد وأن تحمل اسماً، وأن هذا الأخير هو ميزتها الأولى، لأن الاسم يعين الشخصية ويجعلها معروفة وفردية".³⁸

فاسم الشخصية يُعد دالاً يميزها من غيرها من الشخصيات الروائية الأخرى في الرواية نفسها، ولهذا فإن تسمية كل شخصية روائية باسم يميزها من غيرها ضرورة لا بد منها، وهو ما درج عليه الروائيون في الرواية العربية والأجنبية طوال تاريخيهما.³⁹

وغالباً ما يلجأ هؤلاء إلى مستويين تعبيريين: "مستوى اعتباطي، يخلو الاسم معه من أي دلالة، وآخر رمزي، يبدو الاسم معه موحياً، وزاخراً بالدلالات المميزة لهذه الشخصية: المادية والمعنوية".⁴⁰ وللروائي الحرية المطلقة في الاختيار، فليس ثمة "قانون يحدد للروائي موضوع تسمية شخصياته، فقد يكفي باسم الشخصية، وربما قرن الاسم بالنسبة، وأضاف إليهما لقباً وكنية".⁴¹

ونستطيع القول إن الروائي محبك أقام علاقة بين معظم أسماء شخصياته النسوية في الرواية وبين معناها المعجمي أو تركيبها الصوتي. فكلمة وداد تعني لغة: الحب،⁴² وهو ما يتناغم مع دورها في الرواية؛ فهي محبة للحياة وصانعة للجمال فيها، ومودة لزملائها الموظفين والموظفات. كما أنها تحمل حبا للطبيعة حولها، ويبدو هذا من طريقة عنايتها بشجيرات الزينة وأصص الأزهار. ومنى: جمع منية، وهي البغية، أو ما يتمناه الإنسان،⁴³ وهو معنى يناسب صاحبتة في الرواية، فأمنية الزواج من خطيبها ترافقها في الرواية منذ سنتين دون بلوغها، بسبب الظروف الاقتصادية المحيطة بالخطيبين. وسناء: السنا: ضوء البرق،⁴⁴ والسنا العلو والارتفاع، وسناء في الرواية مترقعة عن الزواج لأنها "قررت أن تنذر حياتها لتربية إخوتها".⁴⁵ ودلال: تعني لغة: إظهار المرأة تدللها وغنجها أمام زوجها،⁴⁶ وهو معنى يخالف حياة دلال في الرواية، فهي متعبة في البيت والعمل، وهي الأكثر همًا وغمًا بين نساء الرواية،⁴⁷ وليس لها من الدلال والغنج إلا اسمها، وهذا يعني أن الروائي استخدم هذا الاسم بمعناه المضاد في الرواية. وهيام: الهيام بالضم: كالجنون من العشق،⁴⁸ ولكنها في الرواية لا تبدو على هذه الحال، فرمما تحوّل عشقها السابق لزوجها إلى خصام وخلافات بسبب الضائقة الاقتصادية من جهة، وعدم إخلاص زوجها لها من جهة أخرى،⁴⁹ وهذا يعني أن الروائي استخدم هذه الاسم بمعناها المضاد أيضاً.

وللاعتباط نصيب في أسماء بعض الشخصيات النسوية في الرواية، ولا سيما شخصيتي رجاء وسميرة اللتين ظهرتتا مرة واحدة في الرواية، ولا نعرف عنهما سوى أنهما زميلتا وداد في الجامعة. وكذلك هدى، وهي طالبة طب في السنة الثانية. فالقارئ لا يعثر في الرواية على ما يشير إلى علاقة ما بين أسماء هؤلاء وبين أدوارهن في الرواية. والأمر ذاته ينطبق على عهد أخت وداد، وهي مدرّسة لمادة الفيزياء في الرواية.

38 حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي، 247-248.

39 سمر روجي الفيصل، بناء الرواية السورية، 113.

40 نضال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001)، 177.

41 سمر روجي الفيصل، بناء الرواية السورية، 114.

42 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "ودد"، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط8 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005/1426)، 325.

43 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "منى"، 1336.

44 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "سنو"، 1296.

45 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 38.

46 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "دلل"، 1000.

47 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 38.

48 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "هيم"، 1172.

49 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 38.

ويلحظ الدارس أن أسماء النساء كلها في الرواية عصرية، يكثر استخدامها في المجتمع العربي في عصرنا الحاضر، وأن ثمة تقابل بين أصوات حروفها ومعانيها، ويثير لفظها في النفس جواً يهيئ المتلقي للمعنى، ويوحى به، وهي ذات جرس موسيقي حسن وإيقاع رشيق، وسهلة النطق على اللسان.

إن الروائي قصد أن يجعل أسماء شخصياته النسوية دقيقة وموحية ومماثلة لأسماء النساء في الحياة الواقعية.⁵⁰ وعامة اختارها أسماء رقيقة ولطيفة وناعمة وعذبة وعصرية، وأراد من هذا الاختيار أن يتعاطف القارئ معها، ويقف إلى جانبها، وينتصر لقضاياها، ويعيد لها حقوقها في المجتمع العربي المعاصر.

4. مشاكل المرأة في الرواية

تُعنى الرواية بتسليط الضوء على مشكلات المرأة العاملة داخل مكان العمل؛ لهذا اقتضت مواجهة البطلة وداد لهذه المشكلات على زملائها الموظفين والموظفات، ولم تخرج إلى غير هؤلاء من أفراد المجتمع الذي تعيش فيه. وتعليل هذا أن معظم الأعمال الروائية التي تناولت قضية المرأة العاملة رصدت رفض المجتمع لعمل المرأة خارج مكان العمل، ولا سيما في الشارع الذي تمرّ المرأة العاملة فيه، والحلي الذي تقطنه.

ورصد هذا النوع من الروايات مشكلات المرأة نتيجة رفض المجتمع لعملها، وتضمنت حججاً اجتماعية مختلفة لهذا الرفض، تشير إلى منظومة عرفية أو دينية أو أخلاقية. وقد وجه المجتمع الروائي في هذا النوع من الروايات للنساء اللواتي سمحن لأنفسهن بمخالطة الرجال ولذويهم أبشع الاتهامات، مجرداً إياهنّ من كل قيم العفة والشرف والأخلاق. وتأتي في مقدّمة هذه الروايات "أولاد حارتنا" للروائي نجيب محفوظ.

أما الآن ونحن في القرن الحادي والعشرين نجد أن الصورة قد اختلفت، إذ أصبح عمل المرأة مباحاً أخلاقياً وقيماً بين أفراد المجتمع، بل ربما تحوّل عمل المرأة إلى ميزة تزيد في وزنها الاجتماعي. لكنّ مشكلة المرأة العاملة الآن تأتي داخل مكان العمل، ولا سيما الاتهامات التي تواجهها، أو اضطرارها للعمل ساعات طويلة، أو في مجالات شاقة. من هنا أراد الروائي محبك لهذه الرواية أن تتناول مشكلات المرأة العاملة في مكان عملها فحسب.

ثمة مشكلات واجهت الشخصية الرئيسية وداد في الرواية، يأتي في مقدّمها المشكلة التي واجهتها في مديرية التصدير التي كانت تعمل فيها قبل أن تنتقل إلى مديرية أخرى، وتتلخص المشكلة في أن مديرها السابق أعجب بشبابها وجمالها وجاذبيتها، فراح ينصب شراكه للإيقاع بها وتحقيق نزوة جنسية معها، مستغلاً ظروف العمل التي جمعتها في مكان واحد. ولكي يصل المدير إلى هدفه الخبيث راح يُكثر من زيارة زوجها في بيته، حيث كانت وداد تقيم معه. وزوجها هذا موظف في المديرية نفسها، فأراد أن يستغلّ العلاقة مع المدير لتحقيق مكاسب مادية؛ لهذا كان يرغم زوجته وداد على مشاركتها في مائدة الطعام، وتنفيذ رغبات المدير.

وحين تبين لوداد سوء نيّة مديرها نحوها، وتعاون زوجها معه في تحقيق هذه النيّة الخبيثة اضطرت إلى ترك المديرية وطلب الطلاق من زوجها، تقول وداد: "مديري الذي كان يضايقني في المديرية، أخذ يسهر كلّ ليلة في بيتي، وعليّ أن أعدّ له المائدة، بل عليّ أن أقدم له الخمر، ورضيت، ثم أخذ يدعوني إلى مشاركتها في المائدة، رفضت، بدأ المدير يتودّد إليّ، أحضر لي ذات ليلة ثوباً هدية، ودعاني إلى ارتدائه والخروج معاً إلى سهرة، رفضت، من المؤسف أنّ زوجي، أو بالأحرى، من كان زوجاً لي، أخذ يحاول إقناعي. "أنت لا تعرفين يا وداد، سنودع الفقير، غداً يعينك المدير سكرتيرةً خاصة، أو

⁵⁰ إبان واط، نشوء الرواية، ترجم. ثائر ديب، ط1 (القاهرة: دار شرقيات، 1997)، 22.

يكلفك بأعمالٍ إضافية، أو يرسلني في مهمة"، هكذا كان يحاول إقناعي، وفي الحال تركت المنزل، ولم أعد إليه، ولا إلى المديرية".⁵¹

وواجهت وداد المشكلة التالية فور انتقالها إلى مديرية جديدة، فقد رفض مديرها الجديد أن يعينها بوظيفة ضاربة آلة كاتبة التي نقلت بها ثأراً لزميله، وهو مديرها السابق، وعينها مشرفة على دفتر الدوام في مكتب إسماعيل رئيس الدائرة في المديرية لمدة شهرين، وبعدها نُقلت إلى أمانة المستودع، ثم نُقلت إلى لجنة الشراء، وأتمت ثمانية أشهر قبل أن تحقّق هدفها في الانتقال إلى مكتب الضرب على الآلات الكاتبة الذي يديره أستاذ رياض.⁵²

وإسماعيل هذا موظف مقرب من المدير، يعمل على مراقبة الموظفين والتجسس عليهم ونقل أخبارهم إلى المدير، فعمل على تشويه صورتها في المديرية الجديدة، ونشر أخباراً كاذبة عنها، ادعى فيها أن زوجها طلقها بسبب علاقتها المشبوهة بمديرها السابق، وأن سيرتها على كل لسان في المديرية وخارجها.⁵³ كما اتهمها بعدم قدرتها على الضرب على الآلة الكاتبة، يقول في أحد حواراته مع رياض: "لا، وداد ليست زميلة عمل، لأنّها في الأساس لا تصلح للعمل، اسأل عنها الزميلات السابقات في مديرية التصدير، لا تجيد العمل، وتتهرب منه، ولا تنجز في اليوم سوى كتابين أو ثلاثة".⁵⁴

إنّ الأقاويل التي أشاعها إسماعيل حول وداد في المديرية انتشرت بين الموظفين والموظفات، ممّا جعل وداد في مواجهة شائعات تسيء إلى سمعتها الأخلاقية والوظيفية. وعانت من لوك ألسنة زملائها الذكور في العمل لها، وإشاعاتهم حول فجورها وبغائها وعدم أهليتها للعمل في المديرية، وبأنها امرأة لا تصلح إلا للتسلية، ودارت هذه الإشاعات على ألسنة الجميع في المديرية، حتى الموظفات في المديرية صدّقن ما أشاعه الذكور وتداولنه بينهن. يصف رياض ردّة فعل العاملات في مكتب الضرب على الآلة الكاتبة حين علمن بانتقال وداد للعمل معهنّ، يقول: "بعد عودتي من مكتب المدير، يوم أمس، عند نهاية الدوام، أخبرت الزميلات بانتقال وداد، فعلقت مني متسائلة: ولماذا لم تباشر عملها في هذا المكتب منذ انتقالها إلى مديريتنا؟ وردّت دلال ساخرة: لكل شيء سبب، وأضافت مني متسائلة أيضاً: وانتقالها الآن إلى هذا المكتب، هل له سبب؟ ردّت هيام ضاحكة: له ألف سبب. وفي أثناء ذلك كانت سناء تتظاهر بعدم الاهتمام".⁵⁵

تبدو مشكلات المرأة في الرواية أنّها من النوع المنتشر في كثير من أمكنة العمل في المجتمعات العربية، وهذا يعني أن الروائي أراد التركيز على هذه المشكلات دون غيرها؛ لأنّها أكثر إلحاحاً، ويتطلّب حلّها علاجاً اجتماعياً سريعاً.

5. وسائل المرأة في مواجهة المشكلات

تتجه حركة السرد في الرواية نحو كشف زيف وبطلان الأقاويل التي تنال من وداد بعد انتقالها إلى مكتب الآلة الكاتبة، حيث المكان الذي كان يجب أن تباشر فيه عملها فور انتقالها إلى هذه المديرية. في هذا المكتب اطمأنت إلى مديرها رياض، وهو رجل وقور في الخمسين من عمره، بدأ حياته الوظيفية مثلها ضارباً على الآلة الكاتبة، ثم حصل على شهادة الحقوق وأصبح مديراً للقسم، يشرف على عدد من العاملات اللواتي يضربن على الآلة الكاتبة، ويصحح ما يطبعن من كتب ويدققها.⁵⁶

51 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 99.

52 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 10-11.

53 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 9.

54 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 125.

55 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 28.

56 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 6.

ويكشف السرد عن قدرات وداد في تحقيق ذاتها في اليوم التالي من مباشرتها العمل في مكتب الآلة الكاتبة، وذلك من خلال إيقاف حركة السرد أمام مشهد وصفي عبّر فيه رياض عن ذهوله وإعجابه بسبب التغييرات والإضافات التي أحدثتها وداد في المكتب، يقول رياض: "أذهل، في صباح اليوم التالي، وأنا أدخل المكتب. أهى جنيّة أم ساحرة؟ كيف فعلت هذا؟ ومتى؟ بالأمس فقط كنا نتكلم على تغيير مواضع الطاولات، وإذا كلُّ شيء في صباح اليوم قد تغيّر. طاولتي في عمق المكتب، كما هي، في موضعها، ولكن أصبح وراءها غابة عميقة ممتدة ممتدة، هي لوحة جدارية كبيرة، لصقتها على طول الجدار، ... أمام الجدار المواجه للداخل إلى المكتب ورّعت أربع طاولات، ووضعت مقابلها، وأمام الجدار الآخر، ثلاث طاولات، وعلى كل طاولة وضعت إلى جوار الآلة الكاتبة أصيصاً صغيراً فيه زهر الهوى".⁵⁷

ويستمرّ السرد في كشف مزيد من قدرات وداد، فيضع القارئ أمام مهارتها في الضرب على الآلة الكاتبة، ودقّتها في عملها، وابتكار أساليب جديدة فيه، بالإضافة إلى حث زملائها على القيام بواجباتهم الاجتماعية تجاه بعضهم بعضاً. يصف رياض مهارتها بقوله: "أنظر إلى وداد خلصة، وهي تضرب على الآلة الكاتبة، أناملها العشر تتقافز في ضربات رشيقة، أحسن لوقع آلتها نغماً خاصاً، كأنها تعزف على آلة موسيقية لا تتوقف، لا تستعمل المصحح الأبيض، لا تعيد النظر فيما تطبع...".⁵⁸

كانت وداد قد تمرّنت على الضرب على الآلة الكاتبة، ووصلت إلى درجة إتقان هذه المهنة، وهو ما لم يكن يتوقعه رياض مدير مكتب الآلة الكاتبة، ولم تتوقعه الموظفات في الغرفة أيضاً؛ فالذي أشيع حول وداد يدل على عدم قدرتها، لكن جميع هؤلاء ذهلوا أمام قدراتها في أول يوم بدأت فيه العمل في مكتب الآلة الكاتبة، فبدا لهم أمام أعينهم أنها تستطيع استخدام أصابعها العشرة في الضرب على الآلة الكاتبة، وأنها الأسرع بين زميلاتها، من دون وقوعها في أخطاء.⁵⁹

إن إبراز وداد إمكاناتها المهنية دفع زملائها في الغرفة إلى الكف عن التشكيك في قدراتها، وما أكد هذه القدرات أفكار وداد في إعادة ترتيب غرفة الآلات الكاتبة، وأفكارها أيضاً في تدقيق الكتب في فترة غياب رياض الذي كان يدقق الكتب بعد كتابتها. فحين غاب رياض اقترحت على زميلاتها تدقيق الكتب بالتبادل فيما بينهن، وهكذا استطعن إنجاز العمل على نحو كامل، تقول لرياض: "هذا العمل، أستاذ رياض، أنجزناه في غيابك، يمكن أن توقع عليه، وأنت مطمئن، أنا راجعت عمل سناء ومنى، سناء راجعت عملي، كذلك فعلت كل من هيام ودلال".⁶⁰

لقد استطاعت وداد في أيام قليلة أن تحوّل مكتب الآلة الكاتبة إلى مكان نابض بالحركة والنشاط، تملؤه البهجة والسرور، ويزينه الجمال، فكسبت تعاطف زملائها وثقتهم واحترامهم، كما استطاعت أن تغيّر موقف مدير المديرية وتكسب ثقته أيضاً. وحين عرف قدراتها المهنية، كلفها بتدقيق الكتب مكان رياض الذي سيسافر إلى اليمن بعد توقيعه عقدا للعمل هناك.⁶¹

إن هذه القدرات المهنية التي تمتلكها وداد، وهذه الأفكار الجديدة التي أضيفت إلى تلك القدرات هي التي دفعت رياض صاحب مبدأ "العمل هو العمل"،⁶² وزميلاتها الموظفات في مكتب الآلة الكاتبة إلى الإعجاب بها، وتفنيد كل الأقاويل التي أشيعت ضدها فيما يتعلق بأداء واجبها في العمل. وما زاد إعجاب هؤلاء جميعاً بما قيام وداد بواجباتها الاجتماعية

57 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 34-35.

58 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 39.

59 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 31.

60 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 63.

61 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 67.

62 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 25.

إزاء زملائها، وذلك حين قامت بزيارة الأستاذ صالح أحد موظفي مكتب الآلة الكاتبة في المستشفى، ثم حثّت زميلاتها وزملائها لزيارة أسرته لتعزيزتها بوفاته.⁶³

وقدم السرد للقارئ إيضاحات أسهمت في إزالة الشبهات التي تدور حول فجور وداد، وذلك من خلال عدّة لقاءات مع رياض استرجعت فيها ماضيها من خلال الحوار بينهما، وكشفت عن علاقتها بمديرها السابق، وأظهرت أن حفاظها على شرفها هو الذي دفعها إلى الطلاق من زوجها، لا العكس كما يشاع بين الموظفين والموظفات، وأن ما أشيع حول عشقها لمديرها السابق أقاويل كاذبة لفقها المدير؛ لأنها لم تستجب لنزواته الجنسية وفساده الوظيفي.⁶⁴

نستطيع القول إن رواية "الكوبرا تصنع العسل" تنتمي إلى ما يعرف في الكتابة الواقعية النقدية، التي تجعل الإنسان بكل ما تنطوي عليه شخصيته وأفعاله المادة الأساسية للفن، وتعد مهمة الفن الأولى خدمة مصالح الإنسان وتحسين ذاته كإنسان.⁶⁵ فالرواية تعرض هذا المرض الاجتماعي لدى بعض المؤسسات التي تعمل فيها النساء، وتدعو المجتمع إلى تصحيح النظرة الخاطئة، وعدم الانسياق وراء الأقاويل، كما تدعو المرأة العاملة في الوقت نفسه إلى التميز في أدائها المهني، وإيجاد سبل للوقوف ضد ما يشاع حولها من أقاويل.

إن الرواية تقدم لنا أحداثاً مقنعة ومنطقية وشبيهة بما يجري في الحياة، وتخلق شخصيات مقنعة تسري في شرايينها دماء البشر، وتمتاز بصفات خاصة تحدد أبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية، وتجسدها تجسيدا حيا. وقارئ الرواية يلحظ أن ثمة تناغما في شخصية وداد في الرواية؛ فقد أدّت وظيفتها باتّساق ملحوظ بين تكوينها الخُلقي والخُلقي من جانب وبين ما صدر عنها من أقوال وأفعال في الرواية من جانب آخر، وهو ما يتناسب مع النظرة المعاصرة للدراسات الروائية التي تهتمّ بانسجام الأحداث "التي تقوم بها الشخصية مع طبيعتها النفسية والمزاجية".⁶⁶

ويمكن القول إن الرواية أرادت من وداد أن تكون نموذجا للمرأة القوية التي تعرف نفسها جيّداً، وتثق بشخصيتها، وتسعى إلى أهدافها باقتدار. المرأة التي تمتلك الجرأة لتقف في وجه الرجل الذي يريد النيل منها، بدءاً من زوجها الذي أرادها سلماً للوصول إلى وضع اقتصادي مميّز على حساب شرفها، لكنّها رفضت مفضّلة الطلاق والعودة إلى بيت أهلها، وانتهاء بزملائها في الشركة الذين حاولوا غير مرّة إلحاق الضرر بها. لقد كانت تتصدّى لهم في كلّ مرّة وتبرز دائماً على أنّها الأقوى. كما أثبتت قدرة فائقة على إتقان عملها وإخلاصها له. ويضاف إلى ذلك أنّها بحب الحياة من وجهة نظر أنثوية خاصة، وأسلوبها اللافت للنظر في تعاملها مع زملائها، وأثرها المميّز في إضفاء الجمال على المكان الذي تحلّ فيه.

6. أثر المدير الصالح في تحسين أداء المرأة العاملة

تسعى الإدارة الصالحة في أي مكان عمل إلى توظيف طاقات ومهارات الموارد البشرية لتحقيق أهدافها، وتعمل على تنظيم هذا السلوك ومحاوله ضبطه وتوجيه مساراته حتى لا يخرج عن الحدود أو الاتجاهات المرغوبة.⁶⁷

وقد اتكأت حركة السرد في الرواية على الأداء الإيجابي للمدير لإحداث تحولات مهمّة في شخصية وداد، وأسند الروائي مجموعة من الإجراءات إلى رياض بوصفه مديراً صالحاً في الرواية كي يُحدث التحولات التي أرادها الروائي لوداد. فقد بيّنت

⁶³ محبك، الكوبرا تصنع العسل، 46.

⁶⁴ محبك، الكوبرا تصنع العسل، 98-99.

⁶⁵ س. بيتروف، الواقعية النقدية في الأدب، ترج. شوكت يوسف (دمشق: وزارة الثقافة، 2012)، 6.

⁶⁶ محمد عزام، شعريّة الخطاب السردية (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2005)، 10.

⁶⁷ علي السلمي، إدارة الموارد البشرية. (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، 101.

أحداث السرد أنّ المدير رياضاً عمل لكي يوظف طاقات وداد المهنية على وضع ضابط يحدّد علاقته معها، وهو: "العمل هو العمل ونجاحها هي المسؤولة عنه". وقد قبلت وداد بهذا الضابط وأكّدت أنّها ستكون ناجحة وفقه.⁶⁸ وكشفت الأحداث عن معاملته لوداد بمرح من دون مراعاة فروق السن بينهما، ولا كونه رئيس عملها المباشر، وذلك كي يوفّر لها الراحة النفسية اللازمة. كما عبّر عن سروره في انضمامها إلى العاملات في مكتبه بقوله: "يسرني أن نعمل معاً في مكتب واحد".⁶⁹ بالإضافة إلى إحسانه في معاملتها أمام زميلاتها، وقبله اقتراحها بإحداث تغييرات في ترتيب مكتب الآلة الكاتبة كما أسلفنا من قبل. وكان حازماً في الدفاع عنها أمام زملائها وزميلاتها في المديرية. وقد نجحت المهمة التي أوكلها الروائي إلى رياض بإحداث التطوّر المنتظر في شخصية وداد، فبعد القيام بهذه السلسلة من الإجراءات شهدت الأحداث السردية التالية تطوّراً لافتاً للنظر في شخصية وداد، وكشفت عن ارتقاء كبير في أدائها الوظيفي؛ فحسن تعامل المدير معها منحها الثقة به، ودفعها إلى حبّ العمل، والإقبال عليه، فتحسّن أدائها، وتجاوزت مستوى الأداء الحسن إلى مرحلة الإبداع، ولا سيما في فترة غياب رياض كما أسلفنا من قبل. وهذا كله ساعدها في أن تتجاوز صعوبات العمل ومشكلاته، كما ساعدها على تحسين علاقتها مع زملائها وزميلاتها في المديرية، وتحسين صورتها أمام مدير المديرية.

وكشف أحد الحوارات بين رياض وداد اللثام عن شخصيّة جديدة في الرواية، كانت سبباً رئيساً في ثقة وداد بالمدير رياض، ونقصد هنا خالها الأستاذ عصام، الذي كان صديقاً قديماً لرياض في أيام الدراسة الجامعية، والذي ما زال يثق به، ويطمئن إلى أخلاقه الراقية. وقد صرّحت في الحوار أنه من سعى إلى نقلها إلى المديرية على أمل أن تكون في مكتب الأستاذ رياض.⁷⁰

هذا الأسلوب الإداري الصالح أحدث نتائج إيجابية في أداء وداد الوظيفي في المديرية، وفي الوقت نفسه حوّل العلاقة بين المدير رياض والعاملة وداد إلى علاقة تتجاوز حدود العمل إلى مستوى أرقى في العلاقات الإنسانية. فبعد أن عرف رياض مدى تأثيره في تغيير سلوكها على نحو إيجابي، ولا سيما بعد إقلاعها عن التدخين الذي نصحتها به منذ اليوم الأول الذي انتقلت فيه إلى مكتبه، راح يقدّم لها نصائح وتوصيات كسبها من خبرته وتجاربه في الحياة، وتطبيقها لهذه النصائح والتوصيات يساعدها على العيش بسلام وفق منظوره. فقد أوصاها أن تكون قويّة وجميّة بأن مثل أفعى الكوبرا، ليست الأفعى المعروفة، بل كوبرا من نوع جديد، كوبرا تصنع العسل، كوبرا قويّة مخيفة رهيبّة أمام عدوّها، وراقصة جميلة ممتعة للناظر أمام من يشاركونها متعة الحياة وجمالها.⁷¹

كما نصحتها وهو يودعها قبل سفره إلى اليمن ألا تتخلى عن الوظيفة، وألا تستسلم للكسل الوظيفي، قال: "لا تغرقي في الكسل الوظيفي، اصنعي آفاقاً أخرى غير آفاق الوظيفة، أثبتني نجاحك فيها، لكن لا تستلمي لإغراءاتها التافهة، فهي لا تصنع مجداً، أمامك المستقبل كله".⁷²

ويمكن القول بناء على ما سبق إن ثمة أهميّة كبيرة للإدارة في حلّ مشكلات المرأة العاملة، وذلك من خلال تفهّم ظروفها ومراعاتها، وكشف إمكاناتها ومحاولة الاستفادة منها في خدمة المؤسسة التي تعمل فيها المرأة على أكمل وجه. وهكذا تتحقق فائدة متبادلة للمرأة وللمؤسسة في الوقت نفسه. وإنّ حلّ مشكلات المرأة العاملة يتطلّب تعاوناً منها ومن المجتمع

68 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 20.

69 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 27.

70 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 96-97.

71 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 141.

72 محبك، الكوبرا تصنع العسل، 140-141.

أيضاً، فرغم الدور الرئيس للمرأة في حلّ مشكلاتها فإنها قد تعجز عن إيجاد علاج ناجح من دون تعاون المجتمع المحيط بها وتفهمه لظروفها.

إنّ النمو المتدرج والمستمر لشخصية وداد في حركة السرد الروائي وصل بها في نهاية المطاف إلى نموذج مميّز للمرأة العاملة، يمكن الاستفادة منه في إحداث أثر إيجابي في المجتمع المعاصر.

خاتمة

يمكن أن نجمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

- تريد الرواية أن تقول للمتلقي إن الحياة المعاصرة أدخلت المرأة في ميادين عمل جديدة إلى جانب الرجل ما كانت متاحة لها من قبل، وهذا الوضع الجديد للمرأة يتطلب منها مؤهلات خاصة، تستطيع من خلالها مواجهة الصعوبات التي تعترض حياتها الجديدة.
 - ثمّة دعوة في الرواية إلى ترتيب علاقة المرأة العاملة مع زملائها وزميلاتها في العمل على نحو لائق لكلا الطرفين، والروائي أراد لهذه العلاقة أن تكون مبنية على احترام كل طرف للآخر، وقائمة على الحب والتعاون والمراعاة والإحساس الإنساني بالآخر.
 - قدّمت الرواية نموذجاً للمرأة العاملة القادرة على التعايش مع أفراد المجتمع الجديد في عصرنا، وذلك من خلال ما امتازت به من قدرات وإمكانات وظيفية ساعدتها على التفوّق على زملائها في العمل من جهة، ومن خلال ما امتازت به أيضاً من معرفة حسنة في أصول التعامل مع زملائها ساعدتها في إحداث أثر إيجابي فعّال فيهم من جهة أخرى.
 - نموذج المرأة الذي قدّمته الرواية على دراية كبيرة بواجباتها وحقوقها؛ فهي تدرك أنّ عليها أداء واجبها الوظيفي على نحو تامّ، والإسهام مع زملائها في إنجاز الأعمال الملقاة على عاتقهم في المديرية، وفي إقامة علاقات طيبة معهم.
 - وتدرك في الوقت نفسه أنّ من حقّها أن تلقى معاملة حسنة من زملائها، وألا يُساء إلى سمعتها وكرامتها، وأن يكون لديها القدرة على إبداء الآراء واتخاذ القرارات في العمل.
- ويمكن القول إن الرواية قدّمت المرأة العاملة بصفات مناسبة لحياتها الجديدة إلى حد بعيد، وبالتالي استطاعت أن تبليغ الرسالة التي أرادها الروائي لقارئ هذه الرواية.

المراجع

الأحمد، محمد. *مكونات السرد وتقنياته في روايات خيرى الذهبي*. رسالة ماجستير، جامعة حلب، 2009.

إسلام أوغلو، أمل- يلدريم آلب، سنان. "المشكلات التي تواجهها النساء العاملات الموظفات في خدمات الركاب في الحياة العملية". *مجلة حق العمل والمجتمع الدولية* 6/3 (شباط 2014): 150-177.

بحراوي، حسن. *بنية الشكل الروائي*. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990.

بيتروف، س. *الواقعية النقدية في الأدب*. تراج. شوكت يوسف. دمشق: وزارة الثقافة، 2012.

حطيني، يوسف. *مكونات السرد في الرواية الفلسطينية*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

السلمي، علي. *إدارة الموارد البشرية*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.

الصالح، نضال. *النوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001.

عبد الخالق، نادر. *الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب كيلاي*. القاهرة: دار العلم والإيمان، 2009.

- عبد السلام، فاتح. *الحوار القصصي*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999.
- عزام، محمد. *شعرية الخطاب السردي*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2005.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. "ودد". *القاموس المحيط*. تحق. محمد نعيم العرقسوسي. مجلد واحد. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005/1426.
- الفيصل، سمر روجي. *بناء الرواية العربية السورية*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1995.
- قراييك، إلياس. "استخدام المرأة في الحياة العملية في تركيا". *مجلة الاقتصاد وإدارة الأعمال في جامعة مرمره* 1/32 (آذار 2012): 260-231.
- كوجك، مشرف. "المشكلات التي تواجه المرأة في الحياة العملية دراسة استقصائية عن النساء العاملات المتصللات بصاحب العمل". *مجلة علوم الاقتصاد* 1/7 (2015): 1-17.
- لحماني، حميد. *بنية النصّ السردّي من منظور النقد الأدبي*. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991.
- محبّك، أحمد زياد. *الكوبرا تصنع العسل*. حلب: منشورات دار القلم العربي، 1996.
- مندلاو، أ. أ. *الزمن والرواية*. ترجم. بكر عباس. بيروت: دار صادر، 1997.
- همفري، روبرت. *تبار الوعي في الرواية الحديثة*. ترجم. محمود الربيعي. القاهرة: دار المعارف، 1975.
- واط، إيان. *نشوء الرواية*. ترجم. نائر ديب. القاهرة: دار شرقيات، 1997.
- ويليك، رينيه- وارين، أوستين. *نظرية الأدب*. ترجم. محي الدين صبحي. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.

KAYNAKÇA

- Ahmed, Muhammed. *Mukevvinetu es-Serd ve Tikniyatuhu fi Rivayati Hayri ez-Zehebî*. Yüksek Lisans Tezi. Halep Üniversitesi. Edebiyat Fakültesi, 2009.
- İslamoğlu, Emel- Sinem Yıldırım. "Yolcu Hizmetleri Memurluğu" Yapan Kadınların Çalışma Hayatında Karşılaştıkları Sorunlar". *HAK-İŞ Uluslararası Emek ve Toplum Dergisi* 3/6 (Şubat 2014): 150-177.
- Bahravî, Hasan. *Bünyetu eş-Şekl er-Rivâi*. Beyrut: El-merkezü's-sekâfiyyu'l-arabî, 1990.
- Pitrov S. *el-Vâkı 'yye en-Nakdiyye fi el-Edeb*. Çev. Şevket Yusuf. Dimeşk: Vezêratu's-sakâfe, 2012.
- Hittîni, Yusuf. *Mukevvinatu es-Serd fi er-Rivâye el-Filistiniyye*. Dimeşk: Menşurât ittihâd el-kuttâb el-arab, 1999.
- Selmî, Ali. *İdêretu'l-Mevârid el-Beşeriyye*. Kahire: Dâr Garib, 1998.
- Sâlih, Nidâl. *Ennuzu' el-Usturi fi er-Rivâye el-Arabiyye el-Mu'âsira*. Dimeşk: Menşurât ittihâd el-kuttâb el-arab, 2001.
- Abdulhalik, Nêdir. *eş-Şahsiyye er-Rivaiyye Beyne Ahmed Ali Bêksîr ve Necib Kilanî*. Kâhire: Dâru'l-ilim ve'l-imen, 2009.
- Abdulsalam, Fâtiḥ. *el-Hivâr el-Kasasî*. Beyrut: El-muessese el-arabiyye liddirase ve'neşr, 1999.

Azzâm, Muhammed. *Şi'riyyetu el-Hitab es-Serdî*. Dimeşk: Menşurât ittihâd el-kuttâb el-arab, 2005.

Fîrûzâbâdî, Mecduddin Muhammed bin Ya'Kûb. "Vdd". *el-Kâmûsul-Muhît*. Thk. Muhammed Na'îm el-A'raksûsî. 1 Cilt. Beyrut: Muessesetue'r-risâle, 1426/2005.

Faysal, Semer Ruhî. *Binâ er-Rivâye el-Arabiyye es-Suriyye*. Dimeşk: Menşurât ittihâd el-kuttâb el-arab, 1995.

Karabıyık, İlyas. "Türkiye'de Çalışma Hayatında Kadın İstihdamı". *Marmara Üniversitesi İ.İ.B.F. Dergisi* 32/1 (Mart 2012): 231-260.

Küçük, Müşerref. "Çalışma Hayatında Kadınlar ve Karşılaştıkları Sorunlar: Bir İşverene Bağlı Olarak Çalışan Emekçi Kadınlara İlişkin Bir Araştırma". *Ekonomi Bilimleri Dergisi* 7/1 (2015): 1-17.

Lhamdânî, Hamîd. *Bunyetu en-Nas es-Serdî min Menzûr en-Nakd el-Edebî*. Beyrut: El-merkez e's-sekâfî el-arabî, 1991.

Muhabbık, Ahmed Ziyâd. *el-Kobrâ Tesna' el-Asel*. Halep: Menşuratu dâr el-kalem el-arabî, 1996.

A.A, Mendilow. *ez-Zemen ve er-Rivâye*. Çev. Bekir Abbâs. Beyrut: Dâr sâdir, 1997.

Humphrey, Robert. *Tayyâr el-Va'î fî er-Rivaye el-Hadîse*. Çev. Mahmud er-Rabî'î. Kahire: Dâr el-me'ârif, 1975.

Watt, Ian. *Nuşû' er-Rivâye*. Trc. Sâir Dib. El-Kahira: Dâr şarkiyyât, 1997.

Vilik, Rinih- Ustun Varin. *Nezariyyetu el-Edeb*. Çev. Muhyiddîn Subhî. Beyrut: El-mu'essese el-arabiyye liddirasêt ve'n-neşr, 1981.